*الدكتور/حميد الله

''فتح الفتوح ، فتح مكة و نتائجه''

سبب التسمية :

سمي فتح مكة ، بفتح الفتوح ''لأن العرب كانت تنتظر باسلامها اسلام قريش و يقولون هم أهل الحرم و قد أجارهم الله من أصحاب الفيل فان غلبوا فلا طاقة لأحد به صلى الله عليه وسلم فلما فتح الله مكةدخلوا في دين الله افواجاً قبائل على جملتها بعد ان كانوا يدخلون افرادا ولم يقم للشرك قائمة بعده''[1] -

سبب الغزوة :

و عند ما عقدالصلح بين المسلمين و قريش في الحديبية دخلت خزاعة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم و بينما دخلت بنوبكر في عهد قريش. و بعد هذا الصلح قد نشب النزاع بين خزاعة و بكر و أعانت قريش بني بكر على خزاعة بالسلاح و الرجال خفية فقاتلوامعهم وأصابوا منهم فانتقض بذلك العهد الذي كان بينهم و بين المسلمين وجاءت رسل خزاعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم و على رأسها عمرو بن سالم الخزاعي الكعبي الذي وقف على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بالمسجد وأنشده :

يا رب إني ناشد محمدا
حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا
ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا
وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا
ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا

---

*استاذ الحديث و الفقه ، اداره علوم اسلاميه ، جامعه پنجاب ، لاهور

١- بهجة المحافل لأبي بكر العامري عمادالدين ، ٣٩٧/١

ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كداء رصدا
وزعموا أن لست ادعوا أحدا
وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا و سجدا[1]

فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم لصرت يا عمرو بن سالم ثم عرضت سحابة فى السماء فقال عليه الصلاة والسلام إن هذه السحابه لتستهل بنصر بنى كعب[2] .

استعداد المسلمين للحرب :

عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتال قريش والظروف كلها مهيأة لذلك والنصر مضمون باذن الله لا سبيل لقريش فى جمع العرب على رسول الله و قد بادرت بنقض العهد و تخطى المواثيق. فطلب الرسول صلى الله وسلم من عائشه ان تجهزله وتكتم امره . . . و حفظت عائشه كعهدها سر الرسول حتى عن أبيها الصديق .

رسالة حاطب بن ابى بلتعة :

قصة حاطب هى قصة النفس الانسانية عندما تركن الى بشر يتها ويصيبها الوهن والضعف. فقد كتب الى قريش يخبرهم بعزم الرسول على غزوهم ، وكانت الرسالة موجهة الى صفوان بن امية وسهيل بن عمرو الذى وقع اتفاقية الهدنة مع الرسول و فى الرسول و فى الرسالة كتب حاطب : "ان الرسول قد اذن فى الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت ان تكون لى عندكم يد بكتابى اليكم" وسلم الكتاب لامراة من مزينة جعلته فى شعرها و قد ضفرت شعرها عليه وقد جعل لها اجرا على ذلك .

الا أن الله سبحانه و تعالى أخبرنبيه بما فعل حاطب و قد أرسل الرسول[3] عليا و زبيرا وبعد فحص و تحقيق قد و جدا الكتاب من المرأة فجاءا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستجوب حاطبا على فعله فأكد حاطب أيمانه بالله و رسوله والله لم يتغير أو يتبدل ، ولكنه أراد أن تكون له دالة على قريش لوجود أهله و ولده بينهم ، و تذكر بعض الروايات بأن الله تعالى أنزل بعد هذه الحادثه قوله تعالى : يا أيها الذين

١- سيرة ابن هشام ، ٣٨٩/٢
٢- بهجة المحافل ، ٣٩٩/١

آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة[١] -

فى هذه القصة نرى الرسول يرد للصحابى اعتباره امام المسلمين و قد عظم الأمر عندهم ، و ذلك لتأكد الرسول[٣] من صدق كلام حاطب ، و تأكده من حسن اسلامه. والرسالة لنفسها فى صيغتها تنبئ عن ذلك فقد كتب لقريش : "إن رسول الله قد اذن فى الناس" ولم يقل : (ان محمدا) كما يقول المنافقون -

والقصة فيها من دروس (و عبر) للمسلمين فى أهمية كتمان السر واحاطة تحركات المسلمين بالسريه والتزام الجندى المسلم بتنفيذ الأمر من تجرد و إيمان . ثم فيها اشعار بعظم مكانة اهل بدر لأن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال فى شأنهم لعل الله قداطلع يوم بدر على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم قدغفرت لكم. وحاطب بن أبى بلتعة من أهل بدر -

خروجه صلى الله عليه وسلم :

عسكر الرسول فى بئر أبى عنبة و وزع المهام و قسم الرايات على الجيش الذى وصل الى عشرة آلاف مقاتل من المهاجرين والأنصار والقبائل الأخرى و خرج بهم يوم الأربعاء العاشر من رمضان . ولم يكن المسلمون على يقين من وجهة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هل يقصد قريشا أم هوازن أم ثقيفا مما جعل كعب بن مالك يذهب إليه ويبرك على ركبتيه بين يدى المصطفى صلى الله عليه وسلم وينشده :

قضينا من تهامة ريب و خيبر ثم أجمعنا السيوفا
نسائلها ولو نطقت لقالت بساحة داركم منها ألوفا
فتنتزع الخيام ببطن وج و تنزل دورهم منها خلوفاً

فمازاد الرسول على أن يبتسم له فقال له الناس : و الله ما بين لك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، ماندرى بمن يبدأ ، بقريش أوثقيف أو هوازن[٢] -

و قد وصل ابوسفيان وأخذ العباس الى رسول الله لطلب الأمن له ولم يكن أبوسفيان اقل وضوحاً و صراحة ممن حوله ، فعندما طلب منه الرسول ان يؤمن لم يتردد ولكنه اخبر بأن فى نفسه شيئاً من ان محمدا رسول الله مع اعترافه بحلم الرسول وكرمه وصلته للرحم ، ثم عرضت على أبى سفيان كتائب جيش المسلمين قبيلة بعد قبيلة أخرى ، و رجالا وراء رجال ، و ابو سفيان مندهش متعجب مقتنع بأن قريشا

١- بهجة المحافل ، ١/ ٤٠١ المغازى للواقدى، ٢/ ٧٩٧
الخصائص الكبرى للسيوطى ، ٢/ ٨٧ ، جوامع السيرة لا بن حزم ، ص ٢٢٦
٢- المغازى للواقدى ، ص ٨٠

لا قبل لها بمثل هؤلاء الرجال المجاهدين الصابرين و اذا به يسرع إلى مكة لينقذ قومه من الهلاك مخبرا لهم بتأمين الرسول صلى الله عليه وسلم لمن دخل داره أوالمسجد أو دار أبي سفيان ـ

و دخلت جيوش الاسلام مكة تحمل رايات العزة وألوية السلام والجيش مقسم في نظام بديع أظهر عظمة الرسول العسكرية و كبار قادة المسلمين على رأس تلك الجماعات على بن أبي طالب و خالد بن الوليد و الزبير رضى الله عنهم و موكب الرسول (صلى الله عليه وسلم) المهيب يتقدمه ابو عبيدة الجراح رضى الله عنه. انه موكب رهيب وساعات حاسمة ، المسلون يدخلون من أسفل مكة وأعلاها و من ذى طوى ، والا واما لدى القادة بازالة العوائق و محاربة من يقاتلون ، ولم يقتل من المسلمين الا رجلين شذا عن جيش خالد بن الوليد ، اما المشركون فقد قتل منهم ثلاثة عشر رجلا[١] ـ

و دخل الرسول[٣] شاكراً خاضعا لله رحيما شفوقا بقريش اعطى الأمان للجميع الا رجالا ارتبطت أسماؤهم بقضايا معينه و مواقف تستدعى المسألة والجزاء من امثال عبدالعزى بن خطل الذى ارتد و قتل من بعثه الرسول معه لجمع الصدقات ثم لحق بالمشركين، وكذلك قتل الحويرث بن نفيد بيد على بن أبي طالب ، كما قتل مقيس بن صبابة. و قد أمن بعض الناس من هؤلاء وهم زهير بن ابن اميه وكذلك عبدالله بن سعد و عكرمة بن أبي جهل وكلهم أسلموا و حسن اسلامهم و فيهم من تولى امر المسلمين[٢] ـ

وتسلم القائد المنتصر مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة فدخل الكعبة و صلى داخلها ومعه عثمان و بلال و اسامة بن زيد ثم كرم الرسول عثمان اذ ترك له حجابة الكعبة. وارتفع بلال بنداء الحق، و حطمت الاصنام فى مكة و حول الكعبة والرسول[٣] يقول : ''جاء الحق و زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا''[٣] ـ

وكانت للرسول صلى الله عليه وسلم مواقف لاتنسى ومن ينسى موقفه من أهل مكة وهم ينتظرون مصيرهم ويتوقعون الانتقام ممن آذوه و اخرجوه من بلده واتهموه بكل امر فظيع؟ كالسحر والكهانة والجنون و الرسول صلى الله وسلم يقرأ ما فى عيولهم ويعلم ما فى

١- جوامع السيرة لا بن حزم ، ص ٢٣١
٢- راجع سيرة بن هشام ، ٢/٤١٠-٤١١
٣- جوامع السيرة لابن حزم ، ص ٢٣٣

نفوسهم وحياً فيسألهم : يا معشر قريش ماترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا اخ كريم و ابن اخ كريم. قال فانى اقول لكم كما قال يوسف لاخوته : (لاتثريب عليكم اليوم) اذهبوا فأنتم الطلقاء[١] .

و لازال المسلمون يتعلمون من هذا الفتح العظيم دروساً من بينها :

١- ان كلمة الله يجب ان تعلو على كلمة الكفر فى أى زمان و مكان و ان واجب المسلمين الدائم هوتحطيم الأصنام والطواغيت فى كل صورها وأشكالها .

٢- ان الخطة التى وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم قد نفذت بدقة و تحققت الأهداف الكبرى مثل دخول الناس فى الاسلام و على رأسها قريش .

٣- ان الأمور الهامة فى حياة المسلمين لابد فيها من السرية فى الهدف و فى التخطيط و فى التنفيذ .

٤- ان الحرب النفسية سلاح من اسلحة المحاربين تفيد المسلمين اذا أحسنوا تنظيمها و توقيتها و تنفيذها .

٥- ان الجندى المسلم مطيع منفذ للأوامر فى التأهب للجهاد والتحرك للقتال دون مراجعة أو تردد .

٦- ان روح التسامح و التعالى هى صفات جيش المسلمين فلا انتقام و لاحقد ولا مذابح ولا تمثيل .

٧- ان ظهور المسلمين دائما بمظهر الأقوياء الأشداء المستعدين للقتال أمر لابد منه لادخال الرعب فىنفوس الأعداء و تنفيذ امرالله فى اعداد العدة لهم .

وما أكثر الدروس والعبر فى هذه الغزوة لمن يعتبرون ويتعظون ويعدون ويخططون .

ان يوم الجمعة فىالعشرين من رمضان سنة ثمان من الهجرة يوم من أيام المسلمين التى لاتنسى والتى يجب ان تكون منقوشة بأحداثها وظروفها و لنائجها فى ذاكرة الأجيال المسلمة التى يجب أن تدرس تاريخها فتعرف جوالب العظمة فيه و تحقق

١- سيرة ابن هشام ، ٢/٤١٢ . المغازى للواقدى ، ٢/٨٣٥

بذلك اتباع نبيها صلى الله عليه وسلم واخضاع العالم لأمر ربها. فيجب على المسلمين الاستعداد التام دائما وأبدا ضد المسلمين ويجب عليهم ان يجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده .

هذا ما عندنا و بالله التوفيق و صلى الله على النبى وآله وسلم .